ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

فإن قُلْتَ: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء لها؟ **قُلْتُ:** هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان حتى ينظر من يقول: ما لها؟ إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات، وأنّ هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر. وروي عن رسول الله ﷺ تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها[1].

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: إذا ويومئذٍ ناصبهما! **قُلْتُ** يومئذٍ بدل من إذا وناصبهما تحدث، ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذٍ بتحدّث.

فإن قُلْتَ: أين مفعولا تحدّث؟ **قُلْتُ:** قد حذف أوّلهما، والثاني إخبارها. وأصله: تحدّث الخلق أخبارها، إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيمًا لليوم.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾.

فإن قُلْتَ: بم تعلت الباء في قوله: ﴿بأن ربك﴾؟ **قُلْتُ:** بتحدّث معناه تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث. ويجوز أن يكون المعنى: يومئذٍ تحدث بتحديث أنّ ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها. كما تقول: نصحتني كل نصيحةً بأن نصحتني في الدين. ويجوز أن يكون بأن ربك بدلاً من أخبارها. كأنه قيل: يومئذٍ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها، لأنك تقول: حدثته كذا وحدثته بكذا. و﴿أوحى لها﴾ بمعنى: أوحى إليها، وهو مجاز كقوله: أن نقول له كن فيكون. قال: أوحى لها القرار فاستقرّت. وقرأ ابن مسعود: تنبئ أخبارها. وسعيد بن جبير: تنبئ بالتخفيف. يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾.

﴿اشتاتًا﴾ بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتًا يتفرّق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء أعمالهم. وفي قراءة النبي ﷺ ليروا بالفتح. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾.

ويحكى أن أعرابيًا أخر خيرًا يره. فقيل له: قدّمت وأخرت. فقال:

خذا بطن هرشي أقفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

والذرّة، النملة الصغيرة، وقيل: الذرّ ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

فإن قُلْتَ: حسنات الكافر محبطة بالكفر[2]، وسيئات المؤمن معفوّة باجتناب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذرّ من الخير والشر! **قُلْتُ:** المعنى فمن يعمل مثقال ذرّة خيرًا من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرّة شرًّا من فريق الأشقياء. لأنه جاء بعد قوله: يصدر الناس أشتاتًا، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله»[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات مختلف فيها

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾.

أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح. والضبح: صوت أنفاسها[4] إذا عدون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ (الحديث رقم: 3353) وأخرجه ابن حبان في كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس، (الحديث رقم: 7360) وأخرجه الحاكم في المستدرك 2/532.

(2) قال أحمد: السؤال المبني على قاعدتين إحداهما: أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر، فإن حسنات الكافر محبطة، أي: لا يثاب عليها ولا ينعم، وإمّا تخفيف العذاب بسببها فغير منكر، فقد وردت به الأحاديث الصحيحة، وقد ورد أن حاتماً يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه، ورد ذلك في حق غيره كأبي طالب أيضاً، فحينئذٍ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب، فيمكن أن يكون المرئي هو ذلك الأثر، والله أعلم. وأمّا القاعدة الثانية: وهي القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر ويكفرها عن المؤمن، فمردود عند أهل السنة فإنّ الصغائر عندهم حكمها في التكفير= = حكم الكبائر، تكفر بأحد أمرين: إمّا بالتوبة النصوح المقبولة، وإمّا بالمشيئة لا غير ذلك، وإمّا اجتناب الكبيرة عندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة، فالسؤال المذكور إذاً ساقط عن أهل السنة، ولكن الزمخشري التزم الجواب عنه للزومه على قاعدته الفاسدة، والله الموفق.

(3) أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد أهل البيت، وله شاهد من حديث أنس مرفوعًا، ذكره ابن كثير في تفسيره: 8/480. والخطيب في تاريخه 11/380.

(4) قال أحمد: ولم ينكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفاً على الاسم فنقول: إنما عطف أثرن على الاسم الذي هو العاديات وما بعده؛ لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلاً عن اسم فاعل تصوير هذه الأفعال في النفس، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير=

أح. قال عنترة:

والخيل تكدح حين تضـ ـبع في حياض الموت ضبحًا

وانتصاب ضبحًا على يضبحن ضبحًا، أو بالعاديات. كأنه قيل: والضابحات، لأن الضبح يكون مع العدو. أو على الحال أي: ضابحات.

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾.

﴿فالموريات﴾ توري نار الحباحب، وهي ما ينقدح من حوافرها. ﴿قدحًا﴾ قادحات صاكاتٍ بحوافرها الحجارة، والقدح: الصك. والإيراء: إخراج النار. تقول: قدح فأورى، وقدح فأصلد، وانتصب قدحًا بما انتصب به ضبحًا.

فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾.

﴿فالمغيرات﴾ تغير على العدو ﴿صبحًا﴾ في وقت الصبح.

فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾.

﴿فأثرن به نقعًا﴾ فهيجن بذلك الوقت غبارًا.

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾.

﴿فوسطن به﴾ بذلك الوقت أو بالنقع، أي: وسطن النقع الجمع، أو فوسطن ملتبساتٍ به ﴿جمعًا﴾ من جموع الأعداء ووسطه بمعنى: توسطه. وقيل: الضمير لمكان الغارة، وقيل: للعدو الذي دلّ عليه والعاديات. ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام: ما لم يكن نقع ولا لقلقة[1]. وقول لبيد: فمتى ينقع صراخ صادق، أي: فهيجن في المغار عليهم صياحًا وجلبةً، وقرأ أبو حيوة: فأثرن بالتشديد، بمعنى: فأظهرن به غبارًا، لأن التأثير فيه معنى الإظهار أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزةً. وقرئ: فوسطن بالتشديد للتعدية، والباء مزيدة للتوكيد، كقوله: ﴿وأتوا به﴾[2] وهي مبالغة في وسطن، وعن ابن عباس: كنت جالسًا في الحجر فجاء رجل فسألني عن العاديات ضبحًا ففسرتها بالخيل، فذهب إلى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله ونكر له ما قلت. فقال: ادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحًا الإبل من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى[3]، فإن صحت الرواية فقد استعير الضبح للإبل، كما استعير المشافر والحافر للإنسان، والشفتان للمهر، والثفر للثورة، وما أشبه ذلك. وقيل: الصبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب. وقيل: الضبح، بمعنى: الضبع، يقال: ضبحت الإبل، وضبعت إذا مدت أضباعها في السير، وليس بثبت وجمع هو المزدلفة.

فإن قُلْتَ: علام عطف فأثرن؟ **قُلْتُ:** على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لأنّ المعنى: واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾.

الكنود: الكفور، وكند النعمة كنودًا، ومنه سمي كندة لأنه كند أباه ففارقه. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي، وبلسان بني مالك البخيل، وبلسان مضر وربيعة الكفور، يعني: أنه لنعمة ربه خصوصًا لشديد الكفران، لأنّ تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة، لأنّ أجل ما أنعم به على الإنسان من مثله نعمة أبويه، ثم إن عظماها في جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة.

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾.

﴿وإنه﴾ وإنّ الإنسان ﴿على ذلك﴾ على كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره، وقيل: وإنّ الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد.

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾.

﴿الخير﴾ المال من قوله تعالى: إن ترك خيرًا. والشديد: البخيل الممسك. يقال: فلان شديد ومتشدد، قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني: وإنه لأجل حب المال وأن إنفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك، أو أراد بالشديد القوي، وأنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس. تقول: هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقًا له ضابطًا، أو أراد أن لحب الخيرات غير هشٍ منبسط ولكنه شديد منقبض.

❁ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾.

﴿بعثر﴾ بعث وقرئ: بحثر وبحث وبحثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف.

وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾.

= بالمضارع بعد الماضي، وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن معديكرب:

فإني لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فجرت صريعاً لليدين وللجران

(1) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت وأخرجه الحاكم في المستدرك 3/217.

(2) سورة البقرة، الآية: 25.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك 2/533.

ومعنى حصل جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعًا. وقيل: ميز بين خيره وشره، ومنه قيل للمنخل: المحصل. ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأنّ ذلك أثر خبره بهم.

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾.

وقرأ أبو السمال: إنّ ربهم بهم يومئذٍ خبير. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسناتٍ بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعًا»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة مكية

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾.

الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي: تقرع.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾.

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾. شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمي فراشًا لتفرّشه وانتشاره.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾.

وشبّه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانًا لأنها ألوان، وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: كالصوف.

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾.

الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، أو جمع ميزان. وثقلها رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته[2] له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات أن يثقل.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾.

وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات أن يخف.

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾.

﴿فأمه هاوية﴾ من قولهم: إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمّه[3] لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمّه ثكلاً وحزنًا. قال:

هوت أمّه ما يبعث الصبح غاديًا ... وماذا يردّ الليل حين يؤوب

فكأنه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: هاوية من سماء النار، وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوىً بعيدًا. كما روي: يهوي فيها سبعين خريفًا[4]. أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى أمّ على التشبيه لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه. وعن قتادة: فأمّه هاوية أي: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوسًا.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾.

﴿هيه﴾ ضمير الداهية التي دلّ عليها قوله: فأمّه هاوية. في التفسير الأوّل، أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها وقيل: حقه أن لا يندرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف، وقد أجيز إثباتها مع الوصل. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة»[5].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر مكية

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾

ألهاه عن كذا وأقهاه إذا شغله. و**﴿التكاثر﴾** التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر. روي أن بني عبد منافٍ وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددًا فكثرهم بنو عبد منافٍ فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم، والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا

---

(1) ذكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه 4/297.

(2) رواه ابن أبي شيبة 14/573، كتاب: المغازي، باب: خلافة عمر.

(3) قال أحمد: والأوّل أظهر؛ لأنّه مثل معروف كقولهم لأمه: الهبل.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة قعر = جهنم (الحديث رقم: 2575)، وأخرجه الحاكم في المستدرك 4/597.

(5) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: حفظ اللسان، (الحديث رقم: 6478).